عرفا بعد اللقا عقبي الفتون وخداع القلب ايام الشباب
بعد ان افنت منى السنون وتبدى الشعر يدعو للخضاب
ونبت اسيافها تلك العيون وحنت اروسها تلك الرقاب

بهما فليعتبر من افعما قلبه الحب وعقباه نسي
وعلى قبريهما ان يختما بعبارات الغرام الاقدس
(عزيز صعب)

السعادة

لله ما ابعد السعادة مطلباً على الطالب وما اقصاها شقة على الراغب ويا لله العجب من لفظ وضع ولا يعرف معناه بل حالة شائعة بين كل الناس ولكن لا يراها الانسان الا في سواه فهي الشيء الذي غاب تحت الحسّ حتى لا يرى الا قياساً وفرضا او هي تاج الصحة يلبسه الاصحاء ولكن لا يراه الا المرضى

وقديماً اختلف الناس في كنه السعادة ثم ما اتفقوا الا على الاختلاف ولكم توهموها في طرف واحد وجدّوا اليه فاذا هي ملء النواحي والاطراف وما حقيقة السعادة لو ندري الا ترجي ما لا ننال فاذا نلناه لم نجده سعادة وانما الخير كله في توقع الخير ولا عبرة بالنقص والزيادة

ننظر الى المليك المستوي على عرشه وقد دانت له الآفاق وخضعت

له الاعناق فنجده كانه يقول لنفسه ياليتني كنت ذليلاً ولم يكن تاجي الا قطعة من لبد ويا حبذا لو كنت فقيراً اجول بين الناس فارى كل احد ولا يراني احد فليست السعادة عندي ان اكون مسوداً عظيماً بل حقيقة السعادة لدي ان اكون حياً سليماً وننظر الى الغني الكبير ينفق وحده في يومه من الاموال ما يكفي لنفقة الفقير سنوات ويلفظ من فضلات طعامه ما يرد المجاعة عن مئات فنقول لقد حلت السعادة هنا ويقول هو اين السعادة مني وهيهات اذن فقد جهلت حقيقة السعادة بين الناس وما هي الا كما قلنا لفظ قد ضاع معناه او انها كظل الانسان يراه ولا يدركه مع انه يسير واياه

ولقد زعم هذا العالم ان السعادة لا تكون الا بالمال وانه حين يوجد المال فقد وجد معه كل شيء فهو قاضي الحاجات ودافع الآفات ومدني اللذات وليس هذا القول بالمنكر لدى ما يبدو من قدرة الانسان بالمال واحتوائه به على كل ما يؤمله من المطالب مهما نأت وتعذرت ولكن الذي يظهر من خلاصة التحقيق انه ليس كذلك بالقياس الى ما يبدو من حالة صاحبه وشعوره به بل هو اذا كان سعادة فانما هو كذلك في نظر من لم يحوه ولم يشعر بما كان من قدرته فهو على هذه الحال سعادة يتصورها المرء تصوراً ولا يشعر بها حقيقة. والدليل على ذلك انه لم يوجد قط او ندر جداً ان يكون ذو مال مسروراً بماله وليس ذلك لان المال لا يسر صاحبه من حيث ما يتضمنه من القدرة على ادناء المسرات بل من حيث ان وجوده لديه يخلق له حاجات لا يعينه عليها مقدار ماله او لا يعينه عليها المال مجرداً مهما كان ولهذا لا يصح ان يعد المال قاضياً للحاجات مادام هو نفسه يخلق لصاحبه حاجات لا يمكن قضاؤها

اما تلك الحاجات فلا يتسع المجال لبسطها او بسط بعضها لانها لا تكاد تحصى وهي كلها متعلقة بوجدانات النفوس وتأثراتها ومتى علقت النفس ومالت فهي انما تميل لشيء غير موجود لديها بالطبع كما انها تطلب ما يساوي منزلتها ولذلك كان الهم في تحصيله شديداً عليها وكان الفقر والغنى سواء بالاضافة الى نفس المطلوب . بل قد يكون الغنى اكثر اجتلاباً لشقاء النفس بدليل ما نجده من كثرة انتحار الاغنياء بالقياس الى مبلغ مالهم فان الغني ذا السعة واليسار اذا نقص ماله الى حد النصف عد ذلك من اشد الشقاء عليه حتى ينتحر او يعيش مبتئساً حتى لا يشعر بمسرة على تمكنه من ذلك بما بقي من ماله مع ان آلافاً من الفقراء يفلسون الى حد العدم ولكنهم لا يبتئسون كل ذلك الابتئاس ولا يبلغ بهم الشقاء ذلك المبلغ

ولما كان شقاء النفس وسرورها موكولين الى المال منذ القدم حتى لا يريد احد في ذلك جدالاً فقد اخذ كثيرون من اولي الافهام في هذا العهد يسعون جهدهم في دلالة الفقراء خاصة على ان السعادة ليست في المال وحده بل انه على الغالب مجلبة الشقاء وكان لهم على ذلك براهين وتقاويم عديدة جاء اكثرها من جهة الصواب وكان من ناحية الحق وهو ما كان له تأثير كبير في نفوس الفقراء فوق التأثير الشديد الذي اودعته الاديان نفوسهم من ان الانبياء خلقوا فقراء وان المثل يضرب بفقرهم وان الفقراء اولاد الله لانهم ابعد عن الاذى واقرب الى التقوى وادنى الى لطف الشعور والمحبة ثم زادوا على ذلك فشافهوا الملوك والاغنياء ونقلوا اقوالهم الى الفقراء يدلونهم بها على انهم واهمون في اعتقادهم السعادة بهم وانهم لدى الحقيقة اشقى منهم حالاً وابعد عن السعد مسافة ولو كان المقام يتسع هنا لذكر اقوال الملوك

وما يشعرون به من شديد الشقاء لجئنا من اقوالهم باوضح دلالة على ما قيل بل نحن مالنا والاستدلال بما يرد من طريق القول والبرهان العقلي بل نحن نشعر بنفوسنا ونحس بنفوس غيرنا انه لو طاب احد فينا ممن يلتمسون السعادة ان يكون ملكا في اوربا خاصة لانف من هذا المنصب السعيد وجزع ان يكون كل ساعة معرضاً للاذى الحسي من ايدي المجانين الذين يتعمدونهم وللاذى الادبي من تقييد الحرية الشخصية الذي يضايقهم اشد الضيق في معايشهم حتى لا يستطيع احدهم ان ينقل قدماً لمأرب خاص دون ان تعرف حاله او ينوي نية لنفسه دون ان يعلم بها كل الناس . بل لو خير افقر فقير في بلادنا ان يكون محافظاً للاسكندرية او القاهرة مثلاً لابى ان يكون في كل ساعة مضطراً لمقابلة سفير وامتنع ان يطلب وهو على طعامه بين اولاده ان يستدعى لاطفاء حريقة او استدراك خصام مهما بلغ من السعة واليسار ونال في ذلك من المجد والفخار لان حقيقة السعادة انما هي رضى النفس واين الرضى في هذه الحال . ولقد امتنعنا ان ننقل للقراء كل اقوال الملوك والاغنياء الدالة على نفي السعادة عنهم وذلك خشية طول الحديث ولكن لا بأس ان ننقل لهم هنا حديثاً جرى من ايام بين احدى غنيات اميركا العظام واحد مراسلي الجرائد النمسوية فان فيه دلالة كافية على ما تقدم لنا من المقال

لقد ذكر مراسل جريدة الستندرد في فينا اثناء هذا الشهر ان مراسل جريدة وينر تاجبلاط لقي في تلك العاصمة السيدة ركفلر ابنة غني اميركي عظيم يدعى ملك الغاز لكثرة ماعنده من اسهمه فقال لها كم انت سعيدة ايتها السيدة لكثرة ما يغبطك النساء وفرط ماعندك من المال . فقالت له لا تذكر لي السعادة يا فلان ولا تعتقد اني اشعر منها بشيء فليست السعادة بالمال كما

تزعمون فان من مطالب الانسان وامانيه اشياء كثيرة لا يمكن ان يستدنيها المال فاذكر للملاء انني لست سعيدة وقل لمن يحسدونني انني لست كما يتوهمون. فدهش الرجل لقولها وقال لها اذن انت فيلسوفة ايتها السيدة قالت لست بفيلسوفة ولكنني كثيرة القلق والافتكار ولقد زعموا ان الفقر يدعو الى القلق واما انا فلم يردني ذلك الا من الغنى. هذا ماقالته تلك السيدة بمعناه وهو حقيق بان يكون موضع التأمل والاستبصار من كل من يظن السعادة في كثرة المال ووفور النضار

شأن المرأة

« في التربية العمومية »

وقد وجدنا مجال القول ذا سعة لكننا شهدنا اقلام الكتاب متقاعدة لسوء الحظ عن الجولان في هذا الميدان مع مانحن فيه من الحاجة الى ترديد القول وتكرار النداء بان للمرأة في التربية العمومية شأناً ليس للرجل نفسه مع ماهو مشتهر عنه من السلطة والسيادة في البيت وخارج البيت

ان شأن المرأة في التربية العمومية اعظم من شأن الرجل لان تأثير الام في الولد اعظم من تأثير الاب فيه فانها هي التي تصحبه اكثر من ابيه في المدة التي يكون عقل الولد كجسمه في اللين وسرعة التأثر بحيث كان في استطاعة الام ان تخلق في ابنها ماليس فيه من العواطف والوجدانات وعلى هذا البناء

قلنا ان للمرأة في التربية العمومية شأناً عظيماً لا يمكن الرجل ان يبلغه ويصل اليه مع انه هو الذي يقسو في معاملة الاولاد اكثر مما تقسو الام عليهم وهو الذي تستعمل الام في اكثر الاحيان ذكر اسمه لتهديد الاولاد وارهابهم

ولا مراء في ان التربية العمومية الشعبية انما هي بنت التربية الخصوصية البيتية فلذلك وجب على الذين يريدون ان يبحثوا في التربية العمومية ويلتمسوا لها وجوه التحسين وطرق الاصلاح ان يوجهوا انظارهم قبل ذلك الى التربية الخصوصية التي يدرج الولد عليها في بيت ابيه وعلى يدي امه ومربيته لان هذه التربية هي اساس التربية الكبيرة والقاعدة التي تقوم عليها ولا بدع فان التربية في الصغر كالنقش في الحجر

ونحن اذا نظرنا الى التربية العمومية عندنا وجدناها بوجه الاجمال معدومة لا تليق بشعب آخذ بالمدنية الجديدة والحضارة العصرية والعلة انما هي فساد التربية الخصوصية لانه اذا اعتل الرأس اعتل معه الجسم واذا فسد الاساس تداعت جوانب البناء كله

وغير خفي ان المرأة عندنا غير بالغة الحد الذي وصلت اليه المرأة الغربية من العلم والتربية ليصح لنا ان نطالبها بما تطالب به زميلتها الغربية من رئاسة الاسرة وادارة البيت، وتربية الاولاد وتثقيف اخلاقهم على الطريقة المثلى وخطة الكمال بل قصارى مايجوز لنا ان نطالب المرأة الشرقية به ان تحسن التربية البيتية الى حد معلوم فلا تجعل عقول الاولاد مرتعاً للاوهام وملجأ للخرافات وتطلق السنتهم للكلام البذئ والفاظ السباب والمشاتمة

وقد سبقت لكاتب هذه الاسطر مقالة في جريدة البصير دار فيها الكلام على «الآداب العمومية» ثم مقالة اخرى في هذه المجلة النسائية قصر فيها